

الحب والكراهية

الحب والكراهية نقيضان، يعيشان في حالة نزاع مستمر، مما يجعل العلاقة بينهما ذات طبيعة جدلية، يصعب معها وبسببها التعايش بسلام. لقد كان الحب هو البداية حين ولد مع الطفل الرضيع في حضن أمه، ورضع مذاقه الأول من ثديها. أما الكراهية فقد جاءت تعبيراً عن فشل الحب في صيانة ذاته وتجديد شبابه، وتعرضه لأزمات لم يكن العقل ناضجاً أو راشداً للتعامل معها بواقعية.

حين يستقبل الأهل الرضيع بالحب، وحين تمنحه الأم حناناً دافئاً فياضاً، فإن الحب ينمو في قلبه ويتزعرع في عينيه وينضج في رأسه بسرعة، ويتحول مع الأيام إلى شعور معطاء متبادل ومبدع. لكن حين يجد الحب نفسه وحيداً وقد هجره حنان الأم وحب الآخرين، كأن يقوم المحبون بمنح جزء كبير من حنانهم وعطفهم لمولود جديد، فإن الحب، وقد أصبح طفلاً، يجد نفسه مدفوعاً نحو العزلة والانزواء، وميلاً لمنح جزء من ذاته لشعور غريب عن ذاته اسمه الغيرة والحسد، الغيرة من الآخر وحسد الآخرين على ما يتمتعون به من حنان. وبينما تعكس الغيرة نفسها في شعور ظاهر قاسي، يعكس الحسد نفسه في شعور باطني مؤلم. الغيرة أقوى من الحب، والحسد أخبث من الغيرة.

إن كون الحب نقيض الغيرة والحسد، يجعل التنافس فيما بينهما حرباً طاحنة، يمثل الحب فيها الطرف الخاسر في غالبية الحالات والأحيان. إذا كسب الحب معركته، وهذا قلماً يحدث، فإن من شأن النجاح أن يساعده على احتواء الغيرة والحسد وتحجيمهما، واختصار دوريهما في حياة الفرد إلى شعور تحتي ضعيف وغير مؤثر. لكن إذا انتصرت الغيرة والحسد، وهذا ما يحدث غالباً، فإن الحب يتحول إلى شعور يتيم، لا يخرج من صومعته ولا يعبر عن ذاته إلا في مناسبات قليلة، في حالات الفرح الكبير والحزن العميق.

في حالة نجاح الغيرة والحسد في هزيمة الحب، واستمرارهما دون رادع لفترة طويلة، فإن من عادتتهما التحول إلى بركان لا شعوري يشبه نهراً متدفقاً، اسمه كراهية. وبسبب قوة الكراهية وخطورتها، فإنها تجد نفسها مندفعة نحو هدم كل ما يقف في طريقها، بما في ذلك ما في قلب صاحبها من حب وحنان. وحين يجد الكاره نفسه عاجزاً عن الوصول إلى ما يريد ممن يريد، تتحول الكراهية في قلبه إلى حقد يسكن ذاته. وحيث يتمركز الحقد في القلب والكراهية في العين، يتنازل الحاقد، ودون وعي، عن الجزء الأكبر من عقلانيته وإنسانيته، إذ يجد نفسه مندفعاً نحو إيذاء الآخرين، حتى وإن كانت النتيجة إيذاء الذات قبل الغير، مما يعود عليه بالمرارة والألم في المدى القريب، والخسارة والحسرة العميقة في المدى البعيد.

الإنسان السوي لا يكره من طبعه، بل حين يُغير طبعه، أي حين يتخلى عنه المجتمع المقرب منه ويتركه ليصنع من بحر الحب في قلبه موجات عاتية من الغيرة والحسد، قد تلد كراهية، تلد حقداً. حين يتحول الإنسان السوي إلى حاسد أو كاره أو غيور أو حقود، يتنازل عن معظم مقومات الإنسان فيه ويغدو الفشل حليفه الوحيد. فالغيرة والحسد والكراهية تهدر الوقت، وتحطم الطموح، وتكبل الفكر، ولا تلمس الشخص المحسود أو المكروه بسوء، لا من بعيد ولا من قريب، وقد تسعده إلى مرحلة التشفي بالحقود الفاشل.

المُحب لا يعرف الكراهية، والكاره لا يعرف الحب، أما الحقود فهو مريض ذا توجهات إجرامية لا يفكر إلا في كيفية إيذاء الآخرين، دون أن يفكر في كيفية حماية ذاته من نفسه الحقودة.